

تغيرات الاختيار الزوجي في الريف الفلسطيني

مجلة التراث والمجتمع العدد 44 - د. إيداع عماوي - 2007/02/20م - 11:00 ص



مقدمة:

تختلف المجتمعات البشرية في النظم التي تتبعها في اختيار كل من الزوج والزوجة، باختلاف ثقافة المجتمع، فما يرضى به مجتمع كنظام للاختيار قد يرفضه مجتمع آخر. إلا أن كل المجتمعات تتفق على أن الاختيار في الزواج هو الخطوة الأولى والأساسية التي ترسي عليها قواعده، ولا مفر لكل راغب في الزواج من أن يخطو هذه الخطوة، وهو حين يفعل ذلك إنما يفعله تلقائياً، وبدون أدنى تفكير فيما يفعل. فالاختيار للزواج سلوك اجتماعي، يهدف إلى تحقيق رغبة نابعة من حاجة أساسية لدى الفرد. وهناك قاعدة عامة تسيّر عليها المجتمعات في الاختيار، وهي إما الاختيار من داخل الجماعة (الزواج الداخلي) أو الاختيار من خارج الجماعة (الزواج الخارجي).

"ولكل مجتمع قواعد تنظم تدخل أناس آخرين غير الذين يعنيهما الأمر بصورة مباشرة في عملية اختيار شريك الحياة، وهذا التدخل يختلف ويقاوت من مجتمع إلى آخر من حيث درجته ومدى الالتزام به. ففي بعض الأحيان قد يكون التدخل كلياً حيث يكون للأهل (وخاصة الوالدين) الكلمة العليا أو الكلمة الفصل في عملية اختيار الشريك. وأحياناً أخرى يكون التدخل جزئياً بحيث يسمح بأخذ رأى الاثنين (زوجي المستقبل) اللذين يعنيهما الأمر. وفي بعض المجتمعات أخرى قد لا يكون هناك تدخل بالمعنى الحقيقي للتدخل في عملية اختيار الشريك، وفيه يكون رأى الأسرة أو الوالدين استشارياً فقط وليس من المهم التقيد أو الالتزام به". (بيري، 1998: 344-345)

وعندما يكون الاختيار للزواج من اختصاص الوالدين أو الأقارب يسمى "الزواج المرتب"، وفي هذا النوع من الزواج لا يعطى للعروسين فرصة للتدخل في موضوع الاختيار بشكل جدي، لأن أساس الاختيار هو استمرارية الأسرة القائمة وبناتها. وعندما يرتب الوالدان للزواج وفي نفس الوقت يعطيان ابنهما أو ابنتهما حق الاعتراض، أو يقوم الشاب أو الفتاة بالاختيار الحر ويمنحان والديهما حق الاعتراض، فإن هذا يسمى 'بالاختيار المرتب الحر'. ولا يوجد في أي مكان من العالم اختيار حر تماماً، لأن هذا يعني الزواج من شخص بغض النظر عن رغبات الآخرين. (الخولي، 1984: 168-169)

مع مطلع العقد الخامس من القرن الماضي شهد المجتمع الفلسطيني تغيرات جذرية ونوعية في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كالتغير في مفاهيم الزواج، والمصاهرة. فالزواج من حيث كونه ظاهرة اجتماعية أصبح شأنًا فرديًا ذا علاقة بمستوى الفرد الاقتصادي والاجتماعي أكثر من كونه اعتبارًا عائليًا تقليديًا، كما أن دور العائلة في الاختيار الزوجي أخذ بالتقلص مع انتشار التعليم وتقلص ظاهرة الخجل بسبب الاختلاط في بعض المدارس والجامعات.

الإطار النظري:

هناك العديد من النظريات الاجتماعية الثقافية والنفسية التي حاولت تفسير عمليات الاختيار للزواج، سنعرض لأهمها:

1. نظرية التجانس: تركز نظرية التجانس على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه، وأن التجانس لا الاختلاف هو الذي يفسر اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء في الزواج، وتذهب هذه النظرية إلى أن الاختيار في الزواج يركز في المحل الأول على أساس من التشابه والتجانس في الخصائص الاجتماعية العامة وأيضا في الخصائص أو السمات الجسمية، أي أن يكون هناك تشابه بين الشريكين في الدين والجنس والمستوى الاجتماعي الاقتصادي وفي السن، والتعليم، والحالة الزوجية، والاتجاهات والميول، والمهنة، إلى جانب وجود تشابه أو تجانس في الطول، ولون البشرة، والوزن، ولون العين، ولون الشعر، والصحة العامة. (الساعاتي، 1981: 136)

2. نظرية القرب (التجاور المكاني): ترى هذه النظرية أن عملية الاختيار للزواج تتم في نطاق جغرافي محدد يكون بمثابة مجال مكاني يستطيع الفرد أن يختار منه، وهذا ما نطلق عليه الفرصة الأيكولوجية للاختيار، وهذه الفرصة تتفاوت من فرد إلى آخر، فهي ليست متكافئة بالنسبة لجميع الأفراد. فالناس يحبون ويختارون فقط ممن تسمح الفرصة بالتواصل معهم والاختلاط بهم، أي بمن يعيشون بالقرب منهم، بحيث يلتقون ويتفاعلون ويكونون علاقات اجتماعية، فقد يدرسون معا في نفس المدرسة أو الكلية، أو يعملون في نفس المكان، أو قد يلعبون في نادٍ واحد، فقرار الزواج يتخذ بعد فترة من التفاعل الاجتماعي بين الشخصين. وكلما كانت فرصة اللقاء والتفاعل كبيرة كلما كان الاختيار للزواج أكثر احتمالا. وبهذا المعنى فإن هذه النظرية تقرر بان الزواج يتم بين أولئك الذين تتاح لهم فرصة مقابلة بعضهم بعضا ويسكنون بالقرب منهم وليس مع أشخاص يسكنون في أماكن بعيدة عنهم. (بيري، 1998: 349-348)

3. نظرية القيم: ترى هذه النظرية أن الارتباط والانجذاب بين الأفراد يكون أكثر سهولة عندما يشترك أولئك الأفراد أو يعتقدون بأنهم يشتركون في اتجاهات قيمية واحدة. فالقيم التي تعد شديدة الأهمية بالنسبة لفرد معين، نجدها تحتل مركز الصدارة والأولوية لديه، كما أنها تتجلى في صورة رد فعل عاطفي واضح إذا قوبلت بأي نوع من التحدي. ونتيجة لهذا الجانب العاطفي، فمن المنطقي أن الفرد سيختار رفاقه بما فيهم شريكة حياته من بين أولئك الذين يشاركونه أو يقبلون قيمه الأساسية، لأن الأمان العاطفي يكمن في ذلك. والمشاركة في القيم لا تسهل الرضا العاطفي للشريكين عن بعضهما فحسب، بل تجعل اتصالاتهم الاجتماعية وتفاعلهم مع بعضهم يتم بسهولة أكبر. وهذا يفسر الاتجاه نحو الاختيار للزواج من بين أفراد يؤمنون بنفس القيم الاجتماعية. وباختصار، فإن النظرية تفترض ما يلي:

أ. الأشخاص الذين يشتركون في نفس الخلفيات الاجتماعية يتعلمون ويحافظون على نفس القيم.

ب. إن الأفراد ذوي القيم المتشابهة يتم بينهم اتصال وتفاعل اجتماعي فعال، وينشأ بينهم القليل من الاختلاف والتصادم والمشاكل.



أج. إن هذا التفاعل الفعال الخالي من المشاكل يجعل كل فرد يشعر بالرضا عن نتائج علاقته بالفرد الآخر، وبالتالي الرغبة في الاستمرار في هذه العلاقة وتوطيدها، والتي قد تكون علاقة صداقة، قد ينجم عنها اختيار للزواج. (بيري، 1998: 352-353)

4. نظرية الحاجة المكملة: تركز هذه النظرية إلى فكرة أن الأضداد تتجذب لبعضها، بمعنى أن الشخص يجذب الشخص الذي يختلف عنه في الخصائص. وهذا ما عبر عنه (روبرت ونش) بنظرية الحاجة المكملة في دراسته لعملية الاختيار في الزواج، حيث حدد مفهوم الحاجة بأنها قوة تنظم الإدراك الحسي، ووعي الذات والناحية العقلية والرغبة والإرادة. وأوضح أن كلمة مكملة ترادف كلمة إشباع الحاجة، وهي حالة يحدث فيها أن حاجات تُشبع عن طريق التفاعل مع شخص آخر. فالإنسان حسب ونش يجذب إلى إنسان آخر (رجل إلى امرأة والعكس) في حالة أن الشخص الآخر قد يظهر وعدا أو ميلا أو أملا في أن يشبع له حاجته النفسية، فكل فرد يسعى إلى اختيار الشريك المناسب الذي يمدد بأكبر قدر من حاله الإشباع أو الرضا. ويتم إشباع الحاجات النفسية أو الاجتماعية عن طريق اختيار شريك للحياة تكون خصائصه الشخصية عكس، ولكنها مكملة لخصائصه هو. فإذا كان الشخص يتمتع بشخصية تتصف بالخضوع والاستسلام فإنه يبحث عن شريك قوى الشخصية يمكن أن يقوم بالسيطرة عليه، وهكذا.... (موسى، 1998: 44-45)

5. نظرية التبادل: ترى هذه النظرية أن نوعا من التبادل المادي أو المعنوي المهم يتم أثناء عملية الاختيار للزواج بين زوجي المستقبل. وقد يكون التبادل بين مركز اقتصادي عال وجنس معين أو عمر مرغوب أو خصائص جسمية مطلوبة، كأن يختار رجل كبير السن وكثير المال فتاة صغيرة السن مقارنة بعمره، وهنا تكون الفتاة الصغيرة السن قد بدلت عمره الصغير بالمركز المالي للرجل كبير السن. والفكرة الأساسية في هذه النظرية هي أن الاختيار عبارة عن صفقة تجارية، أو نوعا من المقايضة والمساومة التي يحدث فيها الربح والخسارة (بيري، 1998: 353-354).

هذه بعض النظريات التي حولت تفسير عمليات الاختيار للزواج، إلا أن هناك نظريات أخرى حاولت تفسير الاختيار لا ضرورة لتفصيلها، كالنظرية الرومانتيكية التي يسهب في وصفها الشعراء والروائيون، والنظرية الديمقراطية، ونظرية التحليل النفسي التي تركز على الصورة الوالدية، والشريك المثالي، والحاجات الشخصية... الخ.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الزواج بشكل عام وتناولت موضوع الاختيار كأحد مركبات النسق الزواجي، ومن هذه الدراسات المتعلقة بالمجتمع الفلسطيني بالذات، دراسة (Granqvist، 1931) بعنوان "شروط الزواج في قرية فلسطينية". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى أن الأب هو من يختار العروسة لابنه، وفي حال وفاته فإن الأم تقوم بهذه المهمة لوحدها أو بالتشاور مع الأقارب.

وإضافة إلى ذلك، دراسة (جرادات، 1996) بعنوان: "مؤشرات التغيير الاجتماعي في قرية أردنية: دراسة أنثروبولوجية ميدانية في قرية سمر الكفرات". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى تناقص فاعلية وتأثير الأسرة في اختيار شريك الحياة، وظهرت محددات جديدة بدأت تؤثر في عملية الاختيار تمثلت بوظيفة شريك الحياة وتحصيله العلمي، فصار الناس يفضلون الفتاة المتعلمة والموظفة زوجة لأبنائهم. ودراسة (الدليمي، 1997) بعنوان: "الأسرة والقربان ووضع المرأة في مجتمع متغير: دراسة اجتماعية لمدينة نعر القديمة في اليمن". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى أنه لم تعد عملية اختيار الزوجة محصورة في الأسرة بل أصبح الفرد يسعى لاختيار شريك حياته، كما أصبحت مسألة زواج الفتاة مسألة خاصة بالأسرة بعيداً عن تأثير



المجموعات القرابية. ودراسة (القاضي، 2000) بعنوان: "مقارنة أثر وظائف الزواج الداخلي والزواج الخارجي في البناء الاجتماعي لمجتمع متغير". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى تقلص نفوذ كبار السن على أبنائهم وعلى أقاربهم الآخرين نتيجة للاستقلال الاقتصادي للأبناء وزيادة تعليمهم، مما أدى إلى تنامي اتخاذ قرارات فردية في ما يخص الاختيارات الزوجية، ولم تظهر الدراسة تغيرات هامة بالنسبة لأنماط الاختيار الزوجي باستثناء ظهور تغير تمثل في الاتجاه نحو الزواج الخارجي بالنسبة للذكور في الجيل الحالي واتجاه ضعيف نحو تزويج الإناث خارجياً. ودراسة (علي، 2004)، بعنوان "الزواج في مدينة أم درمان: دراسة اجتماعية لمجتمع متغير". حيث أشارت النتائج فيما يخص موضوع الاختيار إلى إن عملية اختيار الزوجة لم تعد محصورة في الأسرة بل أصبح الفرد يسعى لاختيار شريكة حياته، وانتهى تأثير المجموعة القرابية في مسألة زواج الفتيات.

مشكلة البحث: المشكلة الأساسية في هذا البحث تتمحور حول طبيعة التغيرات التي طرأت على الاختيار الزوجي في القرية الفلسطينية نتيجة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأيدولوجية التي شهدتها فلسطين منذ خمسينيات القرن الماضي حتى وقتنا الحاضر في قرى (بلعا، دير الغصون، إكتابا) في محافظة طولكرم في فلسطين.

محددات البحث: تناول هذا البحث التغيرات الحاصلة على الاختيار الزوجي في الريف الفلسطيني في الفترة الواقعة بين عامي 1950 - 2005، وسوف يتم تقسيم هذه الفترة إلى خمس فترات كالتالي:

الفترة الأولى (مرحلة الأردن): من عام 1950 ولغاية 1967 وهي فترة إدارة الضفة الغربية من قبل الأردن.

الفترة الثانية (مرحلة الاحتلال): من عام 1968 ولغاية 1987 وهي فترة الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية قبل حدوث الانتفاضة الأولى.

الفترة الثالثة (مرحلة الانتفاضة الأولى): من عام 1988 ولغاية 1993 وهي فترة الانتفاضة الأولى.

الفترة الرابعة (مرحلة السلطة): من عام 1994 ولغاية عام 2000 وهي فترة سيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية على الأرض.

الفترة الخامسة (مرحلة الانتفاضة الثانية): من عام 2001 ولغاية عام 2005 وهي فترة الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى).

حدود منطقة البحث:

أ - الحدود المكانية: يقتصر هذا الدراسة على السكان القرويين المتزوجين من الذكور في قرى بلعا، دير الغصون، إكتابا في محافظة طولكرم بشمال الضفة الغربية .

بأ - الحدود الزمانية: جمعت البيانات الميدانية المتعلقة بهذا الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة بين أيلول 2004 وحزيران 2005م.

منهج البحث : استخدم الباحث المنهج الكمي والكيفي معاً، ويعرف هذا الأسلوب بالتثليث أو المثلثية (Triangulation)، والمقصود هو دراسة الظاهرة الواحدة بأكثر من طريقة، حيث يتم استخدام المنهج الكيفي لوصف الجوانب التفصيلية للدراسة، بينما يستخدم المنهج الكمي في قياس الكثير من المتغيرات (Jick, 1979: 602-611).

خطة البحث: حيث أن هذه الدراسة هي دراسة كمية وكيفية في نفس الوقت فقد اتبع الباحث بعض الإجراءات لتحديد أدوات البحث واختيار العينة يمكن عرضها على النحو التالي:

أولاً: أدوات البحث: تم جمع بيانات البحث الحالي باستخدام الأدوات التالية:

1. استمارة البحث التي قام الباحث بتصميمها بنفسه، وقد تم عرضها على مجموعة من الأستاذة ذوي الخبرة والاطلاع الواسع في العلوم الاجتماعية بهدف التعرف على الصدق الظاهري للاستمارة، وبعد تعديلها بما ينسجم وملاحظاتهم، قام الباحث بتجريبها على 20 مبحوثا _ لم تدخل في نتائج البحث_، وقام بإجراء التعديلات التي تبينت له.
2. المقابلة المفتوحة المعمقة المستندة إلى قائمة الفحص والتي قام الباحث بإعدادها بنفسه أيضا، بهدف ضبط المعلومات التي سيتم جمعها في المقابلات المعمقة التي سيجريها مع المبحوثين، وقد تضمنت مجموعة من الضوابط التي لا بد من توفرها في المقابلة المعمقة لكي تفي بالغرض الذي صممت من أجله.
3. الملاحظة بالمشاركة من خلال مشاركة الباحث سكان القرى المشمولة في الدراسة في مراسم الزواج المختلفة، ومقابلته لفئات مختلفة من أبناء تلك القرى وخصوصا كبار السن للإطلاع على دقائق الأمور.

ثانيا: عينة البحث: عينة البحث مقسمة إلى قسمين: القسم الأول مكون من (250) مبحوث قام الباحث بمقابلتهم بواسطة استمارة البحث، أما القسم الثاني فيتكون من (15) مبحوثا قام الباحث بمقابلتهم بمقابلات مفتوحة معمقة. وبهذا يكون عدد أفراد العينة 265 مبحوثا، وهم يشكلون 8.5% من مجتمع البحث المتمثل بالذكور المتزوجين من القرى الثلاثة والبالغ عددهم 3114 متزوجا. والمبحوثون موزعون على القرى الثلاثة بما ينسجم مع عدد المتزوجين الذكور في كل قرية، وبالتساوي لكل فترة زمنية شملها البحث. وعن كيفية استخراج أفراد العينة في ظل عدم توفر قوائم بأسماء المتزوجين في القرى الثلاث، وضرورة أن تتسجم العينة مع الفترات الزمنية الخاصة بالبحث، فقد تم اعتماد العينة الغرضية فيما يتعلق بعينة المبحوثين بواسطة الاستمارة، وقد تنقل الباحث على البيوت لتعبئة الاستمارات حسب المراحل الزمنية، وفي حال استكمال العدد الخاص بالمرحلة الزمنية كان الباحث يعتذر للشخص وينتقل لشخص آخر جديد لم تكتمل المرحلة التي يتبع زواجه لها وهكذا. أما عن عينة المقابلات المعمقة فقد تم اعتماد العينة القصدية، وهي العينة التي تعكس اختيارا كيفية من قبل الباحث للمبحوثين استنادا إلى أهداف بحثه، بعيدا عن من تم مقابلتهم بواسطة الاستمارة، وقد قصد الباحث مقابلة أشخاص تمثل قصص زواجهم المرحلة التي ينتمون لها.

النتائج:

أ - من يدخلو الزوجة

تعتبر كيفية اختيار الزوجة من أهم الأسس التي يقوم عليها الزواج في أي مجتمع، وهو الخطوة الأولى والأساسية التي ترسي عليها قواعده، والاعتبارات التي على أساسها يتم هذا الاختيار تتغير تبعا للظروف والأزمان، والجدول رقم (1) يصف كيفية اختيار الزوجة تبعا للمراحل الزمنية، فيتضح من خلاله التغيرات الحاصلة على اختيار الأزواج لزوجاتهم عبر المراحل الزمنية، حيث نجد بان (44%) ممن تزوجوا في مرحلة الأردن قام آباؤهم باختيار زوجاتهم، مقابل (14%) في مرحلة الاحتلال وفي هذا تراجع واضح لدور الآباء في عملية الاختيار، وفي مرحلة الانتفاضة الأولى ترتفع نسبة من قام آباؤهم باختيار زوجاتهم لتصل إلى (20%)، وفي مرحلة السلطة تتراجع النسبة مرة أخرى لتصل إلى (8%)، وفي مرحلة الانتفاضة الثانية وصلت النسبة إلى (2%) فقط، وفي هذا تراجع كبير جدا لدور الآباء في عملية الاختيار. في المقابل نجد بان (28%) ممن تزوجوا في زمن الأردن _ وهؤلاء غالبا تزوجوا في أواخر المرحلة _ اختاروا زوجاتهم بأنفسهم، مقابل (48%) ممن تزوجوا في زمن الانتفاضة الثانية. وإذا ما أضفنا من

جدول رقم (1)

يصف كيفية اختيار الزوجة تبعا للمراحل الزمنية



المجموع	أصدق / معارفي ائي	أقار بي	أخوتي	والدتي	والدي	أنا بنفسي	من اختارك زوجتك المراحل الزمنية	
							العدد	النسبة
50 100 %	1 %2	3 %6	1 2 %	9 %18	22 %44	14 %28	العدد	مرحلة الأردن
50 100 %	1 %2	7 14 %	2 4 %	10 %20	7 %14	23 %46	العدد	مرحلة الاحتلال
50 100 %	2 %4	5 10 %	5 10 %	3 %6	10 %20	25 %50	العدد	مرحلة الانتفاضة (1)
50 100 %	9 18 %	6 12 %	7 14 %	3 %6	4 %8	21 %42	العدد	مرحلة السلطة
50 100 %	12 24 %	1 %2	4 8 %	8 %16	1 %2	24 %48	العدد	مرحلة الانتفاضة (2)
250 100 %	25 10 %	22 8.8 %	19 7. %6	33 13.2 %	44 17. %6	107 42.8 %	العدد	المجموع

اختار أصدقائهم ومعارفهم وزوجاتهم زمن الانتفاضة الثانية وهم (24%) إلى من اختاروا زوجاتهم بأنفسهم على اعتبار أن الاختيار من قبل المعارف والأصدقاء هو بمثابة استئناس بالرأي ويكون القرار بالاختيار للزوج، فإن من اختاروا زوجاتهم بأنفسهم في مرحلة الانتفاضة الثانية يكونون (72%) وهي أعلى نسبة لاختيار الزوجات من قبل الأزواج عبر المراحل المختلفة.

كما سبق ومن خلال المقابلات يمكننا القول بأنه في الماضي (مرحلة الأردن) كان موضوع اختيار زوجة لابن من صلاحيات الأسرة وتحديدًا رب الأسرة أي الأب، وفي حال كونه متوفياً تنتقل هذه الصلاحية للأم أو للأخ الأكبر، ولم يكن للشباب المقبل على الزواج رأي فالمطلوب منه الموافقة دون إبداء أي اعتراض فوالده هو الذي يعرف مصلحته ولديه من الخبرة ما يؤهله للاختيار أكثر من ابنه المقبل على الزواج، وفي هذا الشكل من الاختيار يسمى الزواج "الزواج المرتب". وهذا ما أكدته الرواة



في مرحلة الأردن حيث يصف اختيار والده لزوجته فيقول "كنت في الصف العاشر عندما خطب لي أبي ابنة عمي التي أنهت الصف السادس وخرجت من المدرسة... علمت من والدتي بان أبي خطب لي ابنة عمي، {لأنه لن يجد أحسن منها فهي من دمنا ولحمنا وما إلها إلا ابن عمها يسترها} وعلمت أنهما اتفقا أن يكون الزواج وكتب الكتاب بعد ثلاث سنوات، بعد أن أنهى مدرستي...". يتضح مما سبق بان العريس لم يكن له رأي ولم يستشر بالموضوع وعلم من والدته بما دبر والده بخصوص زواجه وقبل دون اعتراض لان تلك الطريقة في الاختيار كانت هي الأمثل في ذلك الوقت.

وبعد احتلال الضفة في العام 1967، يبدو أن الكثير من الشباب انتقل للعمل في إسرائيل، وزاد التواصل بين الريف والمدينة من خلال تعبيد الطرق وتوفير وسائل النقل الآلية والاتصالات بأشكالها المختلفة، فتراجعت صلاحيات الآباء بشكل ملموس فيما يتعلق باختيار زوجات أبنائهم، فأصبح الأبناء يختارون بأنفسهم، أو بتوجيه من احد الأقارب، وهذا ما أكده احد الرواة في مرحلة الاحتلال حيث يصف اختياره لزوجته فيقول "وفي أحد الأيام كنت أتحدث مع أخي فقال لي لماذا لا تتزوج قلت له لا يوجد معي فلوس... وعرض اسمين لبنات من البلد، فاستجبت وطلبت مشاهدتهن، وكانت أسهل طريقة باعتبار أن البنيتين بالمدرسة هي أن أشاهدهن وهن عائدات من المدرسة إلى بيوتهن، وفعلا أخذني أخي وكانت الصدفة جميلة جدا فالبنتان المقترحتان كانتا تمشيان سويا، فأشار أخي قبل وصولهن، ومن النظرة الأولى وقع اختياري على زوجتي الآن فهي شقراء وعيونها خضر وهذه مواصفات قليلة عندنا فأعجبتي وصرفت النظر عن الثانية... رجعت إلى بيتنا وأخبرت والدي بموافقتي النهائية، وبعد ساعتين كان أبي وأخي الكبير في منزل أهلها، وطلبوا يدها لي...". يتضح مما سبق بان العريس هو الذي اختار زوجته بتوجيه ومساعدة من أخيه وكان دور الأب تنفيذي حيث قام بطلب البنت التي اختارها ابنه بنفسه وفي هذا تغير واضح عن مرحلة الأردن .

وخلال الانتفاضة الأولى استمر الأبناء باختيار زوجاتهم، إلا أن دور الآباء في الاختيار زاد عن المرحلة السابقة وربما يعود السبب في ذلك إلى الظروف الاقتصادية السيئة التي عاشها الشباب فاختار بعض الآباء زوجات أبنائهم خصوصا في الحالات التي يغطي فيها الآباء نفقات الزواج، إلا أن السمة الغالبة لهذه المرحلة هي اختيار الزوجات من قبل الأبناء المقبلين على الزواج، وهذا ما أكده احد الرواة في مرحلة الانتفاضة الأولى حيث يصف اختياره لزوجته فيقول "شاهدت الكثيرات ودخلت بيوتا كثيرة ولم اعثر بمن أريد حتى جاء صديق لأخي من بلعا، وطرح علي اسم زوجتي الحالية حيث يسكن جارا لأهلها ... بعد الاطلاع على مواصفات البنت والسؤال الدقيق عنها طلبت منه أن يحدد لنا موعداً مع أهلها لمشاهدة البنت وفعلا حدد لنا موعد ... توجهت ووالدتي وأختي إلى بيت والد العروس ... عند عودتنا إلى البيت ناقشت الموضوع مع أمي وأختي وتوصلنا إلى أن البنت وأهلها مناسبين وهذا هو طلبي...". يتضح مما سبق بان العريس هو الذي اختار زوجته بتوجيه ومساعدة من صديق لأخيه ولم يكن للأب دور في عملية الاختيار فالعريس اختار بنفسه واستأنس برأي أمه وأخته.

وفي مرحلة السلطة تحسنت الظروف الاقتصادية للشباب حيث التحق الكثير منهم بالوظائف الحكومية المدنية والعسكرية، وزادت فرصهم بالتعارف والاختلاط، فواصلوا اختيارهم لزوجاتهم بأنفسهم أو بتوجيهات من أصدقاء ومعارف، وتراجع دور الآباء في الاختيار بشكل ملموس، وهذا ما أكده احد الرواة في مرحلة السلطة حيث يصف اختياره لزوجته فيقول "... وفي احد الأيام كنت أفق باب منزلنا في وسط البلد فوقفت سيارة أجرة ونزلت منها بنت تحمل كتبا، صفاتها نفس الصفات التي أريدها، لم تسبق لي مشاهدتها ولا اعرف من هي، سألت أخي عنها ففتبين بأنها جارة لنا من حمولة ثانية كان أهلها في الكويت وعادوا إلى البلد بعد حرب الخليج. أخي يعرف أمها، فذهب بناء على طلبي في نفس اليوم وسأل أمها عن إمكانية زيارتهم بخصوص البنت... ذهبت أنا ووالدي وأخي وأخواتي وزوج أختي إلى منزلهم... فطلب زوج أختي من أبوها أن اجلس معها على انفراد، فوافق وجلسنا... واستغرقت الجلسة تقريبا نصف ساعة، رجعت بعدها ... وقلت لأبيها أنا موافق على البنت وسوف ننتظر جوابكم...". يتضح



مما سبق بان العريس هو الذي اختار زوجته بنفسه ولم يكن للأب دور في عملية الاختيار فالعريس اختار وطلب من أخيه تحديد الموعد لزيارة أهل العروس، وجلس مع العروس وقرر موافقته على البنات في نفس الجلسة دون أن يستشير أياً من مرافقيه في الزيارة وفي هذا تغير واضح بتراجع دور الأب والأسرة في عملية الاختيار.

وتعتبر مرحلة الانتفاضة الثانية مكملية لمرحلة السلطة، مع زيادة فرص التعارف للشباب من خلال الدراسة والعمل، فقد واصل الشباب اختيارهم لزوجاتهم بأنفسهم وزاد دور المعارف والأصدقاء بتوجيه معارفهم وأصدقائهم نحو زوجات المستقبل، وتراجع دور الآباء بشكل لم يسبق له نظير، وهذا ما أكده احد الرواة في مرحلة الانتفاضة الثانية حيث يصف اختياره لزوجته فيقول " ... فكرت بالزواج، وكان لي زميلة من منطقتنا تعرفت عليها أيام الجامعة وهي من قرية عرار، كانت سنة أولى في الجامعة وكنت أنا سنة رابعة... وعندما حان موعد التفكير الجدي بالزواج قررت أن أقابلها للتأكد إن كان بإمكانني التقدم لها، وفعلاً تمكنت من مقابلتها في بيت صديق لي من بلدنا تدرّس مع أخته في نفس المدرسة حيث طلبت مساعدته في الأمر، ورتبت أخته الأمور على أنها صديقة وسألته إن كان بالإمكان التقدم لها، فأكدت لي أن لا أحد في حياتها وان بإمكانني التقدم لوالدها، وفعلاً أخذت لي موعداً وذهبت مع صديقي الذي التقينا في منزله، وتعرفت على أبيها وعرفته بنفسه، وكانت البنات صريحة مع أبيها وأخبرته عن معرفتها لي أيام الجامعة، رحب بي وطلب أن يحضر أبي وأمي شخصياً للتعرف عليهم ولطلب البنات حسب الأصول. تحدثت مع والدي بموضوع الزواج وبما حدث معي بالضبط، ففهم الأمر...". يتضح مما سبق بان العريس هو الذي اختار زوجته بنفسه فهو يعرفها من أيام الدراسة بالجامعة، ولم يكن للأب دور في عملية الاختيار فالعريس اختار وطلب البنات من أبيها برفقة صديقة وبلغ والده بما حدث وفي هذا تغير صارخ المعالم بتراجع دور الأب والأسرة في عملية الاختيار.

من الواضح أن التغير يسير باتجاه تراجع دور الآباء في عملية الاختيار مقابل زيادة دور الأبناء المقبلين على الزواج في اختيار زوجاتهم بأنفسهم أو من خلال أصدقائهم ومعارفهم، تبعاً للمراحل الزمنية، وربما يعود السبب في ذلك إلى ارتفاع نسبة التعليم وزيادة الاستقلال الاقتصادي للأبناء تبعاً للمراحل الزمنية، بحيث لم يعد للآباء ذلك التأثير والقوة في اتخاذ قرار الاختيار كما كان عليه الحال في السابق، وهذا يتفق مع ما توصلت إليه دراسة القاضي (2000) من أن زيادة الاستقلال الاقتصادي عند الأبناء بالإضافة إلى زيادة التعليم أدى إلى تقليل نفوذ كبار السن مما أدى إلى اتخاذ قرارات فردية فيما يخص الاختيارات الزوجية، وما توصلت إليه دراسة الدليمي (1997) من أن عملية الاختيار لم تعد محصورة في الأسرة بل أصبح الفرد هو من يسعى لاختيار شريك حياته، وما توصلت إليه دراسة جردات (1996) من تناقص فاعلية وتأثير الأسرة في اختيار شريك الحياة وظهور محددات جديدة بدأت تؤثر في عملية الاختيار كالتحصيل العلمي، وما توصلت إليه دراسة علي (2004) من أن عملية اختيار الزوجة لم تعد محصورة في الأسرة بل أصبح الفرد يسعى لاختيار شريك حياته. إلا أنه يختلف مع ما توصلت إليه دراسة Granqvist (1931) من أن الأب هو من يختار العروس لابنه وفي حال وفاته فان الأم تقوم بهذه المهمة لوحدها أو بالتشاور مع الأقارب.

ب- من أين تأتي الزوجة

وعن المكان الذي تم اختيار الزوجة منه، فإنه في مرحلة الأردن كان معظم الاختيارات من نفس القرية ونادراً ما كان الاختيار يخرج خارجها، وأخذت نسبة الاختيار من نفس القرية بالتراجع التدريجي عبر المراحل إلى أن أصبح الاختيار من خارج القرية هو الأكثر انتشاراً، والجدول رقم (2) يوضح ذلك، فبينما كانت نسبة الاختيار من نفس القرية في مرحلة الأردن (88%)، نجدها تتراجع قليلاً زمن الاحتلال لتصل إلى (82%)، ويتواصل التراجع في مرحلة الانتفاضة الأولى ليصل إلى (66%) إلا أنه يظل النمط الأكثر انتشاراً للاختيار في القرية، وفي مرحلة السلطة يحدث تغير جذري حيث تصل النسبة إلى (48%) وهذا يعني



أن الاختيارات من خارج القرية أكثر منه من داخلها، وتراجع النسبة في مرحلة الانتفاضة الثانية لتصل إلى (42%) وهي أقل نسبة للاختيار من نفس القرية عبر المراحل المختلفة، ورغم التغير الواضح لمكان الاختيار إلا أنه يلاحظ بان التحول يسير باتجاه قرى أخرى في نفس المحافظة بشكل أكبر من غيره من الخيارات، حيث بلغت نسبة من اختاروا من قرية أخرى في مرحلة الانتفاضة الثانية (32%)، يليه من اختاروا من مدينة طولكرم ونسبتهم (14%)، يليه من اختاروا من احد مخيمات طولكرم ونسبتهم (8%)، وكانت أقل نسبة هي لمن اختاروا من محافظات أخرى حيث بلغت نسبتهم (4%)، وربما يعود السبب في تدني نسبة من اختاروا من محافظات أخرى إلى ظروف الإغلاقات وفصل المحافظات الفلسطينية عن بعضها، الأمر الذي أضطر الموظفين والطلاب إلى عدم الخروج من محافظاتهم مما قلل فرص التعارف وبالتالي الاختيار من خارج المحافظة.

من الواضح أن التغير يسير باتجاه الاختيار من خارج القرية بعد أن كان معظم الاختيارات من نفس القرية، وربما يعود السبب في ذلك إلى زيادة الفرص في تواصل السكان خارج قراهم من خلال التعليم والعمل والتجارة... الخ، بحيث لم تعد فرص الاختيار مقتصرة على نفس القرية بل تعدتها إلى قرى وبلدات مجاورة.

جدول رقم (2)

يصف مكان سكن الزوجة قبل الزواج تبعاً للمراحل الزمنية

المجموع	مرحلة الانتفاضة (2)	مرحلة السلطة	مرحلة الانتفاضة (1)	مرحلة الاحتلال	رحلة الأردن	المراحل الزمنية	
						مكان سكن الزوجة	العدد النسبة
163 65.5 %	21 %42	24 %48	33 %66	41 %82	4 %8	نفس القرية	العدد النسبة
52 20.8 %	16 %32	16 %32	12 %24	3 %6	0 %0	من قرية أخرى في محافظة طولكرم	العدد النسبة
19 %7.6	7 %14	5 %10	3 %6	4 %8	0 %0	من مدينة طولكرم	العدد النسبة
7 %2.8	4 %8	3 %6	0 %00	0 %00	0 %0	من أحد مخيمات طولكرم	العدد النسبة
6 %2.4	2 %4	1 %2	2 %4	0 %00	0 %00	من محافظة أخرى في الضفة	العدد النسبة
2	0	1	0	1		من فلسطين	العدد



الداخل	النسبة	%0	%2	%00	%2	%00	%0.8
من قطر عربي آخر	العدد النسبة	%0	1 %2	0 %00	0 %00	0 %00	1 %0.4
المجموع	العدد النسبة	0 00 %	50 %100	50 %100	50 %100	50 %100	250 %100

ج- الصفات التي يتم اختيار الزوجة على أساسها

أما عن الصفات التي يتم اختيار الزوجة على أساسها، فيمكن القول بان أهم صفة للاختيار في مرحلة الأردن كانت القرابة يليها الأخلاق والسمعة الحسنة يليها الجمال والتدين يليها الأصل يليها الشطارة في الأعمال الزراعية حتى تتمكن الزوجة من مساعدة زوجها في الحقل، ومع الأيام تغيرت النظرة وحلت الأخلاق والسمعة الحسنة محل القرابة، والتعليم محل الشطارة في الأعمال الزراعية، وبرزت صفة جديدة قديمة هي صفة التدين التي أخذت في الازدياد عبر المراحل الزمنية لتصل إلى أعلى النسب التي على أساسها اختيرت الزوجات. والجدول رقم (3) يوضح ذلك، فأهم صفة اختيرت الزوجات على أساسها في مرحلة الأردن كانت القرابة حيث بلغت (32%)، أما الأخلاق والسمعة الحسنة فبلغت (18%)، والتدين والجمال على التوالي بلغت (14%) لكل منهما. أما في مرحلة الاحتلال فصفة الأخلاق والسمعة الحسنة كانت الأعلى حيث بلغت (38%)، في حين تراجع القرابة لتصل إلى (6%)، وزاد الاختيار على أساس التدين ليصل إلى (32%). وفي مرحلة الانتفاضة الأولى كانت صفة التدين هي أهم الصفات التي على أساسها اختيرت الزوجات حيث بلغت (48%)، وتراجعت صفتا الأخلاق والسمعة الحسنة والقرابة لتصل إلى (30%)، (2%) على التوالي، ويعبر عن ذلك أحد الرواة في مرحلة الانتفاضة الأولى بقوله "... علما بان الجمال لم يشكل مطلباً أساسياً لي، فاهم طلب عندي هو التدين...". وفي مرحلة السلطة زاد الاختيار على أساس صفة التدين ليصل إلى (52%)، ولم يعد لصفة القرابة أي وجود. وفي مرحلة الانتفاضة الثانية تبرز صفة جديدة للاختيار وهي صفة العمل حيث بلغت نسبتها (4%) وربما يعود السبب في ظهورها إلى زيادة تكاليف الحياة وعدم قدرة الزوج على الوفاء بمتطلبات الحياة اليومية، إلا أن صفة الاختيار على أساس التدين تصل في هذه المرحلة أعلى درجاتها حيث بلغت (62%)، وهذا يدل على أن التوجه الإسلامي أخذ في الازدياد في المجتمع الفلسطيني فأهم صفة للاختيار الزوجات اليوم في الريف الفلسطيني هي التدين وهي أخذت في الزيادة ولا غرابة في الأمر، فهذه النتائج تتسجم مع نتائج الانتخابات البلدية التي أجريت في قطاع غزة يوم الخميس الموافق 27 كانون ثاني (يناير) 2005، وفازت بها الكتل ذات التوجه الإسلامي حيث حصلت على سبعة مجالس من أصل عشرة، ونتائج الانتخابات التشريعية التي جرت في الضفة الغربية وقطاع غزة يوم الأربعاء الموافق 25 كانون ثاني (يناير) 2006 وفازت بها حركة المقاومة الإسلامية حماس والمناصرين لها بأغلبية ساحقة.

من الواضح أن التغيير يسير باتجاه الاختيار على أساس التدين، وربما يعود السبب في ذلك إلى زيادة الصحوة الدينية لدى الشباب، فمنذ الانتفاضة الأولى وظهور حركات إسلامية على الساحة الفلسطينية نادت بتحرير الأرض وتخليص السكان من ظلم الاحتلال، زاد المنتمون والمؤمنون بهذه الحركات وبمبادئها وأخلاقها، فبان ذلك جلياً في اختيارهم لزوجاتهم فكانت أهم صفة للاختيار هي التدين، وهذا يتفق مع ما ذهبت إليه نظرية القيم التي تفسر عملية الاختيار الزواجي، حيث ترى هذه النظرية بأن

الارتباط والانجذاب بين الأفراد يكون أكثر سهولة عندما يشترك أولئك الأفراد أو يعتقدون بأنهم يشتركون في اتجاهات قيمية واحدة، وعليه فمن المنطقي أن الفرد سيختار شريكة حياته من بين أولئك الذين يشاركونه أو يقبلون قيمه الأساسية، لان الأمان العاطفي يكمن في ذلك.

جدول رقم (3)

يصف أهم صفة على أساسها اختيرت الزوجة تبعاً للمراحل الزمنية

المجموع	مرحلة الانتفاضة (2)	مرحلة السلطة	مرحلة الانتفاضة (1)	مرحلة الاحتلال	م رحلة الأردن	المراحل الزمنية	
						العدد	النسبة
104 41.6 %	31 %62	26 52 %	24 %48	16 %32	7 1 %4	العدد النسبة	التدين
2 0.8 %	0 %00	0 00 %	0 %00	1 %2	1 2 %	العدد النسبة	الشطارة في أعمال البيت
24 9.6 %	5 %10	5 10 %	4 %8	3 %6	7 1 %4	العدد النسبة	الجمال
20 %8	2 %4	2 %4	4 %8	6 %12	6 1 %2	العدد النسبة	الأصل
68 27.2 %	8 %16	17 34 %	15 %30	19 %38	9 1 %8	العدد النسبة	الأخلاق والسمعة الحسنة
6 2.4 %	2 %4	0 00 %	2 %4	2 %4	0 0 %0	العدد النسبة	التعليم
2 0.8 %	2 %4	0 00 %	0 %00	0 %00	0 0 %0	العدد النسبة	العمل
20 %8	0 %00	0 00 %	1 %2	3 %6	1 6 3 %2	العدد النسبة	القرابة
4 1.6	0 %00	0 00	0 %00	0 %00	4 8	العدد النسبة	الشطارة في الأعمال الزراعية



%		%			%		
250	50	50	50	50	5	العدد	المجموع
100	%100	100	%100	%100	0	النسبة	
%		%			1		

خلاصة ونتائج :

- أن التغيير يسير باتجاه تراجع دور الآباء في عملية الاختيار مقابل زيادة دور الأبناء المقبلين على الزواج في اختيار زوجاتهم بأنفسهم أو من خلال أصدقائهم ومعارفهم، تبعاً للمراحل الزمنية، وربما يعود السبب في ذلك إلى ارتفاع نسبة التعليم وزيادة الاستقلال الاقتصادي للأبناء، بحيث لم يعد للآباء ذلك التأثير والقوة في اتخاذ قرار الاختيار كما كان عليه الحال في السابق.
- أن التغيير يسير باتجاه الاختيار من خارج القرية بعد أن كان معظم الاختيارات من نفس القرية، وربما يعود السبب في ذلك إلى زيادة الفرص في تواصل السكان خارج قراهم من خلال التعليم والعمل والتجارة... الخ، بحيث لم تعد فرص الاختيار مقتصرة على نفس القرية بل تعدتها إلى قرى وبلدات مجاورة.
- أن التغيير يسير باتجاه الاختيار على أساس التدين بعد أن كانت معظم الاختيارات تتم بناء على صلة القرابة في مرحلة الأردن، وربما يعود السبب في ذلك إلى زيادة الصحة الدينية لدى الشباب، فمنذ الانتفاضة الأولى وظهر حركات إسلامية على الساحة الفلسطينية، زاد المنتمون والمؤمنون بهذه الحركات وبمبادئها وأخلاقيها، فبان ذلك جلياً في اختيارهم لزوجاتهم فكانت أهم صفة لاختيارهم هي التدين.

المراجع:

1. بيري، الوحيشي: الأسرة والزواج (مقدمة في علم الاجتماع العائلي)، الجامعة المفتوحة: طرابلس، 1998.
2. الخولي، سناء: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية: بيروت، 1984.
3. الساعاتي، سامية: الاختيار للزواج والتغيير الاجتماعي، بيروت، 1981.
4. موسى، عبد الفتاح: البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع: ج.م.ع.، 1998.
5. جرادات، عطاق: مؤشرات التغيير الاجتماعي في قرية أردنية (دراسة انثروبولوجية ميدانية في قرية سمر الكفارات)، رسالة ماجستير غير منشورة بإشراف أ. د. قيس النوري، جامعة اليرموك، 1996.
6. الدليمي، عبد الواحد: الأسرة والقرابة ووضع المرأة في مجتمع متغير: دراسة اجتماعية لمدينة تعز القديمة في اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة بإشراف أ.د. تاج الأنبياء الضوي، جامعة النيلين، 1997.
7. علي، إيمان: الزواج في مدينة أم درمان (دراسة اجتماعية لمجتمع متغير)، رسالة دكتوراه غير منشورة بإشراف د. نبيل محمد دقيل، جامعة جوبا، 2004.
8. القاضي، عدلي: مقارنة أثر وظائف الزواج الداخلي والزواج الخارجي في البناء الاجتماعي لمجتمع متغير (دراسة ميدانية انثروبولوجية لقرية السويلمة)، رسالة ماجستير غير منشورة بإشراف أ. د. قيس النوري، جامعة اليرموك، 2000.



9. Grannqvist, Hilma, Marriage Conditions in A Palestinian Village, Communicated by E. Westermarck and R. Karsten, Helsingfors , 1931.

10. Jick, T. D. , 'Mixing qualitative and quantitative methods: Triangulation in action ". Administrative Science Quarterly, 24 , 1979.